

حديث عن المحبة

الأرشمندريت جورج كابسانيس † نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

لقد سلّم إلينا ربنا ومخلصنا يسوع المسيح التعليم الكامل عن الخلاص. وهو كان أول من طبّق ما علّم به. إنه هو من "عمل وعلّم" (متى ١٩:٥). هو أيضاً اعطانا مثل السامري الصالح كمثال عن المحبة الحقيقية. لكن السامري الصالح الفائق التميّز هو المسيح نفسه، الذي اتّخذ طبيعتنا التي يعدّها قطاع الطرق، أي الشياطين والأهواء والشر البشري، ورفّعها ومخّحها الحياة بموته على الصليب وقيامته. نحن جميعاً نعرف أن المحبة المسيحية كونية. إنها محبة الجميع، حتى أعدائنا. هذا أمر نعرفه كلنا ولكننا نجد صعوبة في عيشه. حتى بين الأقربين إلينا، في عائلاتنا، في عملنا، هناك أشخاص لا نميل إليهم أبداً. أحياناً يكون الوضع على هذا المنوال، بالرغم من أنهم لا يكونوا قد عملوا لنا شيئاً، ولو صغيراً، ولا حتى نعتقد بأنهم عملوا ما لا يناسبنا. يكفي أن نحس ببرودة نحوهم، وفي بعض الأحيان بعدائية. لكن أين هي المحبة المسيحية في هذه الحالات؟ علينا أن نجاهد بقوة فعلياً للتحرر من هذه الكراهيات التي تجرّدنا من محبة المسيح ولا تساعدنا على أن نكون تلاميذ حقيقيين له. يعلمنا الرسول بولس أن محبة المسيح الكاملة يمكن تحقيقها فقط من خلال جهودنا، لأننا جميعاً، على درجات متفاوتة، مرضى ولسنا على ما يرام روحياً. إن إرادتنا ضعيفة وفكرنا مظلم، يحتاج إلى استنارة الروح القدس. تذكرون أن هذا سبب اعتبار الرسول بولس للمحبة أعظم الفضائل، في رسالته إلى الغلاطيين: " وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ، فَرَحٌ، سَلَامٌ، طَوْلٌ أُنَاةٌ، لُطْفٌ، صِلَاخٌ، إِيْمَانٌ، وَدَاعَةٌ، تَعَفُّفٌ (٢٢:٥-٢٣).

إذاً، نحن نحاول ونجاهد لاقتناء المحبة، لكن من الضروري أن نطلب أيضاً نعمة الروح القدس: لتنيرنا وتطهرنا من الأهواء وقلّة المحبة وتمنحنا موهبة المحبة. وعليه، عندما يستجيب الروح القدس لطلبنا وصلاتنا ورجبتنا وجهودنا، يمنحنا موهبة المحبة الحقيقية. عندها نتأهّل ونصير تلاميذ صالحين لمعلّم المحبة ربنا يسوع المسيح.

سوف أسرد لكم قصة أتذكرها ومن ثمّ أنهى حديثي. إنها عن ولد رومي أرثوذكسي عاش في الإسكندرية بمصر. عندما كان يتعرّض لأي إزعاج أثناء اللعب مع الأولاد الباقين، وغالبيتهم من الأطفال المسلمين، لم يكن يبادل بإزعاج مماثل. سأله مرة رفقاؤه من الأطفال "عندما يضربنا أحد ما نضربه. لكننا لاحظنا أنك إذا ضُربت لا تبادل بالضرب، أي أنك لا تعامل كما تُعامل". أجاب ذلك الولد المستنير المبارك: "أنا تلميذ للمسيح. هو علّمنا بالأبداً نبادل الشرّ بشرّ. لذا أنا لا أضرب من يضربني". سمع أحد

الأولاد الباقين ذلك وتأثر به. هذا كان مسلماً. عندما كبر سعى إلى التعرف على المسيح وصار مسيحياً بعد أن اعتمد.

هذا ما ينبغي أن يكون عليه تلاميذ المسيح. علينا أن نقلّده في كل الأمور وفي المحبة. علينا دائماً أن ننمي روح محبة كل البشر، خاصةً الذين نشعر نحوهم بالبرودة أو بأحاسيس سلبية. ليس علينا بالضرورة أن نبحث عن الأعداء لنحبهم، لأننا بالغالب مقصّرين في محبة الذين حولنا ونعيش معهم وفي بيوتنا وأقاربنا وفي مجتمعاتنا.

لهذا أيها الآباء والإخوة المسيحيون الحاضرون،[†] فلنباشر جميعنا بمجهود صادق لتقبّل كل إنسان، كائناً من يكون، كأخ أو أخت ونحبهم كما ينبغي أن نحبّ المسيح نفسه. فلتكن معنا نعمة الروح القدس في هذا الأمر وتباركنا، في كل حياتنا وفي نهايتها، وكما ذكرت، من دون المحبة لا نستطيع أن نكون تلاميذ حقيقيين للمسيح.

[†] الشيخ جورج كابسانيس هو رئيس دير غريغوريو في جبل أثوس، رقد سنة ٢٠١٤، بعد مسيرة طويلة بدأها كأكاديمي في كلية اللاهوت في جامعة أثينا حيث تتلمذ على عدد من الأساتذة الكبار أهمهم الأب يوحنا رومانيدس. في مسيرته الطويلة كلاهوتي ركّز دائماً على الأمور الرعائية والعملية، وترك عدداً كبيراً من الكتب والمقالات والعظات. أهم ما تركه هو المثال الذي يُحتذى به في الجمع بين اللاهوت والممارسة.

[‡] المقطع هذا جزء من حديث على المائدة في دير غريغوريو.

Source: <https://pemptousia.com/2021/08/discourse-on-love/>